إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء

للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي الشافعي (المتوفى 911هـ)

حقّقه

أبو الضياء محمّد فرحان القادري الرضوي العطاري

إنباء الأذكياء

بحياة الأنبياء

للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي الشافعي (المتوفى 911هـ)

حقّقه

أبو الضياء محمّد فرحان القادري الرضوي العطاري

مقدمة الكتاب

الحمد لله القائل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير الرسل والأنبياء وعلى آله وصحبه الأبرياء الأتقياء وعلى كلّ من دافع من حريم الرسل والأولياء، وأثبت عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالمحجمة البيضاء، صلاةً وسلاماً يكونان لنا في أهوال المحشر نعم الأمل والرجاء.

أما بعد! فإن الاعتقاد المنجى في الآخرة هو اعتقاد السلف الصالح من أهل السنة والجماعة وهو الاعتقاد الذي عليه السواد الأعظم من المسلمين من زمن النبي الأكرم ﷺ إلى يوم القيامة كما أخرج الولي التبريزي في «مشكاته» عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِيْ أُمَّةٌ قَائمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتّٰى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلىٰ ذٰلِك». متفق عليه.[1]

(1) «مشكاة المصابيح»، كتاب المناقب، باب ثواب هذه الأمة. وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (101/4). والبخاري في

وهذه الطائفة هي المنصورة والشاذة الفاذة منها هي الهالكة المبثورة يوم القيامة كما أمر بالالتزام بها السيد الصادق الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حيث قال: «اتَّبِعُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شُذَّ فِي النَّارِ». أخرجه الإمام البغوي في «مصابيح السنة».[1] وأخرجه ابن ماجه من حديث أنس: «إِنَّ أُمَّتِيْ لاَ تَجْتَمِعُ عَلىٰ ضَلاَلَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اختِلاَفاً فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ».[2]

ومن اعتقادات هذه الطائفة المنصورة توحيد الله تعالى في الأسماء والصفات والأفعال المختصّة به تعالى واعتقاد أنه تعالى ليس بجسم ولا منقسم ولا متحيّز ولا متغيّر ولا يشبه بشيء من خلقه كما لا يشبه شيء من خلقه، منــــزّهٌ من حلول الحوادث فيه وإحاطة المكان به ومرور الزمان عليه وله صفاة ثبوتية محكمات نؤمن بها

«المناقب» (252/4). وفي «كتاب التوحيد والرد على الجهيمية» (167/9). والإمام البغوي في «مصابيح السنة» (1360/4).

(1) برقم:128.

(2) أخرجه ابن ماجه برقم:395.

ونشرحها بمعانيها الحقيقة وصفات ثبوتية ثابتة له متشابهات غير جزء منه تعالى فنؤمن بها ونقرئها من غير تصوّر الجزئيّة والجسمية ولا نشبّه ولا نعطّل ولا نؤوّل تأويلاً لا يحتمله اللفظ ولا يثبته الكتاب والسنّة واستعمال اللغة العربية.

ومنها: تصديق الرسل بجميع ما جاءوا به من عند الله تصديقاً إجمالياً فيما علم من الدين بالضرورة إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وأن نثبت للرسل ما أعطاهم الله من الصفاة والخصائص. ومنها: الحياة الضريحية البرزخيّة لهم أقوى وأعلى من حياة الشهداء والأولياء في قبورهم، وقد دلت نصوص الشرع بهذه العقيدة السلفية الصحيحة جمعها الأئمة المتقدمون، منهم: الإمام البيهقي الخراساني، والإمام الجلال السيوطي متع الله الأمة الإسلامية بكتبهما. وقد أثبت هذا الاعتقاد بأدلة شرعية وحجج قويّة بحيث لا تترك مجال الشكوك كما لا يستطيع الأوهام أن تحوم حوله والإمام السيوطي رحمه الله من الأئمة المدافعين عن هذا الاعتقاد السالم وقد قام بالذب عن معتقد السلف وآرائهم

السديدة بكثير من كتبه ومما كتب في هذا الصدد، هي فيما يلي!

(1)حُسن المقصد في عمل المَولد (2)تنــــزيه الأنبياء عن تسفية الأغبياء (3) الحبل الوثيق في نصرة الصَّدِيق (4)القول الفصيح في تعيين الذبيح (5)المصابيح في صلاة التراويح (6)القول الجلي في حديث الولي (7)قطف الثمر في موافقات عمر (8)نتيجة الفكر في الجهر بالذكر (9)الدر المنظّم في الاسم الأعظم (10)المِنحة في السبحة (11)العُجالة الزرنبيّة في السُّلالة الزينبية (12)الدر التاجية على الأسئلة الناجية (13)العَرف الوردي في أخبار المَهدي (14)الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف (وهذا الموضوع تكفّل بالبحث عنه العلامة القندهاري ثم الهندي الشيخ أحمد رضا الحنفي القادري النقشبندي رحمه الله في «العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية») (15)اتّحاف الفرقة برَفْوِ الخرقة (وهذا بحث علميّ ومناقشة أصولية حول سماع الحسن البصري من الإمام علي رضي الله عنهما تفيد أهل الطريقة وطالبي الحقيقة) (16)بلوغ المأمول في خدمة الرسول ﷺ

(17) تزيين الاعتقاد عن الحلول والاتحاد (وقد ردّ بها مذهب الحشوية والحلوية والمجسمة) (18)إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة (19)تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائك (20)كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام (21)تحفة الجلساء برؤية الله للنساء (22)مسالك الحُنفاء في نجاة والدي المصطفى ﷺ (وقد قام العلامة الإمام أحمد رضا القادري الحنفي قدس سره بالبحث العلمي في كتابه «شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام» عن هذا الموضوع كما أنه سدّا الفراغ العظيم في فتاواه المعروفة بـــ «العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية» في مقامات مختلفة) (23)الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال (للإمام السيد محمد أمين بابن عابدين الشامي رسالة تسمى «إجابة الغوث بأحوال النقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب والغوث» مطبوعة في «مجموعة الرسالة» (24)تنوير الحُلَك في رؤية النبي جِهاراً والمَلَك (فريد في تجسّد الأرواح وشهادة النبي ﷺ على أمته وقد رزقه الله هذه النعمة غير مرّة في حياته يقظةً كما وقع للإمام العارف

بالله عبد الوهاب الشعراني رحمه الله حتى أنه قد قرأ «صحيح البخاري» من النبي ﷺ ثماني مرّات تحت شجرة بمصر كما ذكره الإمام أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي في ترجمته في «شذرات الذهب»). ومنها: «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» وهو كتابه هذا شاهد على سعة اطلاعه في علم الحديث، كيف لا! وقد شدّ الرحال إلى هذا المقصد إلى البلاد الإسلامية من الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور وقد حجّ وشرب ماء زمزم ليصل في الحديث إلى درجة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وفي الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وقد رزقه الله التبحّر في العلوم الإسلامية والعربيّة عامةً والحديث الشريف خاصةً، وكان يخدم الأمة الإسلامية دائماً تدريساً وتأليفاً وإفتاءً، وقد ترك الإفتاء والتدريس في آخر عمره، وتكفّل للتأليفات، وتبتّل إلى عبادة ربّه إلى أن رحل إلى جنابه، سنة 911 الهجرية في سحور ليلة الجمعة بالتاسع عشر من جمادى الأولى، وله من العمر إحدى وستون سنة، ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة بالقاهرة المحمية ومشهده

عظيم، يزار ويتبرك به رحمه الله رحمةً واسعةً وأفاض علينا من روحانيته ومدده.

وقد قام بتحقيق الكتاب العربي الأخ الفاضل:

أبو الضياء محمد فرحان القادري حفظه الله

وهو تلميذ الشيخ العلامة المفتي محمد عطاء الله النعيمي النقشبندي، والشيخ العلامة محمد عثمان القادري البركاتي، والشيخ العلامة محمد أمان الله القادري الأختري وغيرهم من الأساتذة في مدرستنا بمسجد نور، كاغذي بازار، ميتادر بكراتشي، باكستان.

والله ولي التوفيق ومنه القبول والتوثيق وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

3 شوال المكرم 1426هـ

أخوكم مُحَمَّد ذَاكِرُ الله النَّقشبَندِیّ

بمسجد النور، كاغذي بازار، ميتادر، كراتشي، باكستان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، (أما بعد: فقد) وقع سؤال (يقول): قد اشتهر أن النبي -ﷺ- حي في قبره، وأورد أنه -ﷺ- قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»،[1] فظاهره مفارقة الروح (له) في بعض الأوقات، فكيف الجمع؟

وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل

---

(1) أخرج أبو داود في «سننه» برقم:2041، في كتاب (5) المناسك، وباب (100) زيارة القبور (366/2). والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم:4161، عن أبي هريرة في باب (25) في المناسك، وفضل الحج والعمرة، (490/3). والهيثمي في «مجمع الزوائد» عن أبي هريرة (162/10). والجراحي في «كشف الخفاء» برقم:2247 (253/2). والأندلسي في «تحفة المحتاج» برقم:1151 (190/2). وابن حجر العسقلاني في «تلخيص الحبير» (267/2) والمقدسي في «المغني» (298/3). وأورده الزرقاني في «شرحه على المؤطا» (357/4). وابن حجر العسقلاني الشافعي في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (488/6).

فأقول: حياة النبي -ﷺ- في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت (به) الأخبار، وقد ألف البيهقي جزأً في حياة الأنبياء في قبورهم.

1- فمن الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أنس، أن النبي -ﷺ- ليلة أسري به مر بموسى -عليه السلام- وهو يصلي[1] في قبره[1].

(1) قال الإمام جلال الدين السيوطي: (وهو قائم يصلي في قبره) قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب في مؤلف له «حياة الأنبياء»: هذا صريح في إثبات الحياة لموسى [عليه السلام] في قبره فإنه وصفه بالصلاة وأنه قائم ومثل ذلك لا يوصف به الروح وإنما يوصف به الجسد وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر وقال الشيخ تقي الدين السبكي في هذا الحديث الصلاة تستدعي جسداً حياً ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر. (تحت حديث سنن النسائي:1630).

(1) رواه مسلم في «صحيحه» برقم:164-(2375) في كتاب (43) الفضائل، وباب (42) من فضائل موسى ﷺ، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت -وفي رواية هدّاب: مررت- على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره». وابن حبان في «صحيحه» برقم:49، في ذكر خبر أوهم عالما من الناس أنه إلخ، (241/1). والبيهقي في «سننه الكبرى» برقم:1328 (419/1)، والنسائي في «سننه المجتبى» برقم:1631، في كتاب (20) قيام الليل، وباب (15) ذكر صلاة نبي الله موسى ﷺ إلخ، (238/2). وعبد الرزاق في «مصنفه» برقم:6727 (577/3). وابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم:36575 (335/7). والطبراني في «الأوسط» برقم:7806 (13/7). والطبراني أيضاً في «مسند الشاميين» برقم:341 (196/1). وأحمد في «مسنده» برقم:12231 (120/3). وأبو يعلى في «مسنده» برقم:3325 (71/6). وعبد بن حميد في «مسنده» برقم:1205 (362/1). وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (203/6). والبغوي في «شرح السنة» برقم:3654. والسيوطي في «خصائص الكبرى» (258/1).

2- وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس:
أن النبي ﷺ مر بقبر موسى عليه السلام، وهو قائم يصلي فيه.[1]

3- وأخرج أبو يعلى في «مسنده»، والبيهقي في كتاب: «حياة الأنبياء» عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».[2]

---

(1) قد سبق تخريجه آنفاً.

(2) ولفظ رواية البيهقي في «حياة الأنبياء صلوات الله عليهم»: «الأنبياء في قبورهم أحياء يصلون» أخرجه في الكتاب المذكور برقم:3. وأخرجه الهمداني في «الفردوس بمأثور الخطاب» برقم:403 (119/1). والذهبي في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» برقم:1730 (200/2). والعسقلاني في «لسان الميزان» برقم:787 في «من اسمه حجاج» (175/2). وأورده (العسقلاني) في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تحت الحديث: 2357 (486/6). والزرقاني في «شرحه على المؤطا» (357/4). والعلامة السندي في «حاشيته على سنن النسائي» تحت الحديث:1373 في كتاب (14) الجمعة، وباب (5) إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة (102/2).

4- وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتاً البناني يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا.[1]

5- وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي ﷺ قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي الصلاة فيه، فإن صلاتكم تعرض علي»، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض عليك صلاتنا

---

(1) أخرجه الأصبهاني في «حلية الأولياء» وتمام الحديث: أنه قال: هل بلغك يا أبا عبيد أن أحدا يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال ثابت: اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره. قال: وكان ثابت يصلي قائماً حتى يعي فإذا أعيى جلس فيصلي وهو جالس ويحتبي في قعوده ويقرأ، فإذا أراد أن يسجد وهو جالس فتح حبوته (319/2) وأيضاً أخرجه ابن الجعد في «مسنده» برقم:1380، أن ثابتاً البناني قال: اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري (209/1).

وقد أرمت؟[1] يعني بليت. فقال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء».[2]

---

(1) قال السندي في حاشيته على «سنن ابن ماجة»: أرمت: كضربت. أصله أرممت، بتشديد الميم. إذا صار رميماً، فحذفوا إحدى الميمين، كما في ظلت. ولفظه إما على الخطاب أو على الغيبة على أنه مستند إلى العظام. وقيل: من أرم بتخفيف الميم أي فنى. وكثيراً ما يروى بتشديد الميم والخطاب فقيل: هي لغة ناس من العرب. وقيل: بل خطأ، والصواب بسكون تاء التأنيث للعظام. أو أرمت بفك الإدغام. بليت: أي صرت بالياً عتيقاً.

(2) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم:1047 في كتاب (2) الصلاة، وباب (207) فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (443/1). والبيهقي في «سننه الكبرى» برقم:5789 في باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها إلخ (248/3). وابن خزيمة في «صحيحه» برقم:1733 في باب فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة (118/3). وابن حبان في «صحيحه» (191/3). والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» برقم:1029 (413/1). والهيثمي في «موارد الظمآن» برقم:550 في باب ما جاء في يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ فيه (146/1). والنسائي في «سننه الكبرى» برقم:1666 في باب الأمر بإكثار الصلاة على النبي ﷺ

6- وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان»، والأصبهاني في «الترغيب» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ نائياً بلّغته».[1]

يوم الجمعة (519/1). و(النسائي) في «سننه المجتبى» برقم:1373 في كتاب (14) الجمعة، وباب (5) إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة (102/2). وابن ماجة في «سننه» برقم:1085 في كتاب (5) إقامة الصلاة والسنة فيها، وباب (79) في فضل الجمعة، (17/1). وابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم:5511 (477/1). وأحمد في «مسنده» برقم:16262 في «مسند أوس بن أبي أوس» (542/5). والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم:3029 (110/3). والجراحي في «كشف الخفاء» (190/1).

(1) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم:1583 (218/2). والعسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تحت الحديث:3257 (488/6). والذهبي في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» برقم:8160 (328/6). والعقيلي في «ضعفائه» برقم:1696 (136/4). وأورده السيوطي في «حاشيته على سنن النسائي» تحت الحديث:2070 في كتاب (21) الجنائز، وباب (116) وضع الجريدة على القبر (413/2).

7- وأخرج البخاري في تاريخه، عن عمار، سمعت النبي ﷺ يقول: «إن لله تعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق، قائم على قبري، فما من أحد يصلي علي صلاة إلا بلغتها».[1]

8- وأخرج البيهقي في «حياة الأنبياء»، والأصبهاني في «الترغيب» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي مائة في يوم الجمعة وليلة الجمعة، قضى الله له مائة حاجة؛ سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكّل الله بذلك ملكاً يدخله علي في قبري

---

(1) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (162/10). وأبو بكر البزار في «مسنده» برقم:1425 (255/4). والأصبهاني في «العظمة» (763/2). والمنذري في «الترغيب والترهيب» برقم:2574 (326/2). وأورده السيوطي في «حاشيته على سنن النسائي» تحت الحديث:2070 في كتاب (21) الجنائز، وباب (116) وضع الجريدة على القبر (413/2).

كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة».[1]

ولفظ البيهقي: «يخبرني من صلى عليّ باسمه ونسبه، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء».[2]

9- وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ، قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله، حتى ينفخ في الصور».[1]

---

(1) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم:3035 (111/3). وفي «حياة الأنبياء صلوات الله عليهم» برقم:13 بلفظ: عن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ [قال: قال النبي ﷺ]: «إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثرهم عليّ صلاة في الدنيا، من صلى عليّ [مائة مرة] في يوم الجمعة، وليلة الجمعة، قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، [ثم] يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري، كما يدخل عليكم الهدايا، يخبرني من صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء». والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (361/6).

(2) قد سبق تخرجه آنفاً.

10- وروى سفيان الثوري في «الجامع» قال: قال شيخ لنا، عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين حتى يرفع.(2)

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينـــزلهم الله، ثم قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد، فذكر قصة الإسراء في لقيه جماعة من الأنبياء، وكلمهم وكلموه. وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء، وفيه: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا

---

(1) أخرجه البيهقي في «حياة الأنبياء صلوات الله عليهم» برقم:4. والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» برقم:4080 (35/3). والعسقلاني في «تلخيص الحبير» (126/2). وفي «فتح الباري» تحت الحديث:3257 (487/6). والزرقاني في «شرحه على المؤطا» (357/4). والأنصاري في «خلاصة البدر المنير» برقم:932 (267/1).

(2) أخرجه الإمام عبد الرزاق في «مصنفه» برقم:6754 في كتاب الجنائز، وباب (76) السلام على قبر النبي ﷺ، بلفظ: «ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين». والبيهقي في «حياة الأنبياء صلوات الله عليهم» برقم:5.

موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي، وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم –يعني نفسه– فحانت الصلاة فأمهم». [1]

وأخرج حديث: «أن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق». [2] وقال: هذا إنما يصلح على أن الله رد على

(1) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم:278-(172) في كتاب (1) الإيمان، وباب (75) ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (ص84). وأبو عوانة في «مسنده» برقم:350 (117/1). والنسائي في «سننه الكبرى» برقم:11480 (455/6). والعسقلاني في «فتح الباري» تحت الحديث:3257 (487/6). والزهري في «الطبقات الكبرى» (215/1).

(2) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم:6517 في كتاب (81) الرقاق، وباب (43) نفخ الصور (213/4). ومسلم في «صحيحه» برقم:160-(2373) في كتاب (43) الفضائل، وباب (42) من فضائل موسى عليه السلام (ص927). وأبو داود في «سننه» برقم:4671 قي كتاب (34) السنة، وباب (14) في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (37/5). والنسائي في

الأنبياء أرواحهم، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء،[1] فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار. انتهى.

11- وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «والذي نفسي بيده لينــزلن عيسى ابن مريم، ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد، لأجيبنه».[2]

«سننه الكبرى» برقم:7758 (418/4). والطحاوي في «شرح معاني الآثار» في باب التخيير بين الأنبياء عليهم السلام. وأحمد في «مسنده» برقم:7576 (264/2). والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» برقم:7319 (19/5).

(1) لأن الله تعالى قال في حق الشهداء: ﴿لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ الآية [البقرة:154/2].

(2) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» برقم:6584 (462/11). والهيثمي في «مجمع الزوائد» (211/8).

12- وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن سعيد ابن المسيب، قال: لقد رأيتني ليالي الحرة، وما في مسجد رسول الله -ﷺ- غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر.[1]

13- وأخرج الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» عن سعيد بن المسيب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله -ﷺ- أيام الحرة حتى عاد الناس.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة، والناس يقتتلون. قال: فكنت إذا حانت الصلاة، أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف.[2]

(1) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» برقم:510. وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (132/5). وهبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي في «كرامات الأولياء» (166/1).

(2) أخرج ابن سعد الزهري في «الطبقات الكبرى» (132/5). والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (229/4).

وأخرج الدارمي في مسنده قال: أنبأنا مروان بن محمد، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي -ﷺ- ثلاثاً، ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ.[1]

فهذه الأخبار دالة على حياة النبي -ﷺ- وسائر الأنبياء، وقد قال تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران:169] والأنبياء أولى بذلك، فهم أجل وأعظم، وما (من) نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة، فيدخلون في عموم لفظ الآية.

14- وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن مسعود، قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله -ﷺ- قُتِلَ قتلاً

---

(1) أخرج الدارمي في «مسنده/سننه» برقم:93 في باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته.

أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً.[1]

15- وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة قالت:

كان النبي –ﷺ– يقول في مرضه الذي توفي فيه: «لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطع أبهري من ذلك السم».[2]

---

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» برقم:4394 (60/3) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. والإمام عبد الرزاق في «مصنفه» برقم:9571 (269/5). وأحمد في «مسنده» برقم:3873 (408/1). وأبو يعلى في «مسنده» برقم:5207 (132/9). والهيثمي في «مجمع الزوائد» (34/9) وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه باختصار ورجاله رجال الصحيح. وابن سعد الزهري في «الطبقات الكبرى» (201/2). وأبو سعيد الشاشي في «مسنده» برقم:738 (175/2). والطبراني في «الكبير» برقم:10119.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم:4428 في كتاب (64) المغازي، وباب (85) مرض النبي ﷺ ووفاته (131/3). وأحمد في «المسند» (18/6). والحاكم في «المستدرك»

فثبت كونه –ﷺ– حياً في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة.

قال البيهقي في «كتاب الاعتقاد»[1]: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال القرطبي في «التذكرة»[2] في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال.

ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في

برقم:4393 (60/3). والبيهقي في «سننه الكبرى» (11/10). والعسقلاني في «تغليق التعليق» برقم:4428 في باب مرض النبي ﷺ ووفاته (163/4). وأورده العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تحت الحديث:4174 (131/8).

(1) «الاعتقاد على مذهب السلف»: ص(173)

(2) «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»: ص(169).

الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء، فالأنبياء أحق بذلك وأولى.

وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء،[1] وأنه -ﷺ- اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء، ورأى موسى قائماً يصلي في قبره،[2] وأخبره -ﷺ- بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه،[3] إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة، فإنهم موجودون أحياء، ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه. انتهى.

---

(1) كما أخرج ابن ماجة في «سننه» برقم:1637، في كتاب (6) الجنائز، وباب (65) ذكر وفاته ودفنه ﷺ، عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق».

(2) قد سبق تخريجه.

(3) كما مر بيانه.

وسئل البارزي عن النبي ﷺ، هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب: «إنه -ﷺ- حي».

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في «أجوبة مسائل الجاجرميين» قال: المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا -ﷺ- حي بعد وفاته، وأنه يسر بطاعات أمته، ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته.

وقال: إن الأنبياء لا يبلون، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى في زمانه، وأخبر نبينا -ﷺ- أنه رآه في قبره مصلياً.

وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة، وأنه رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم وقال له: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا: نبينا -ﷺ- قد صار حيا بعد وفاته، وهو على نبوته. هذا آخر كلام الأستاذ.

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في «كتاب الاعتقاد»: الأنبياء –عليهم السلام– بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا –ﷺ– جماعة منهم، وأمّهم في الصلاة، وأخبر –وخبره صدق– أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، وأن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.[1] قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً.

قال: وهو بعد ما قبض نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه ﷺ.

اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واجمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير. انتهى جواب البارزي.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: الأولياء تَرِدُ عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض،

---

(1) قد ذكر حديث ابن ماجة آنفاً. وذكر البيهقي في «الاعتقاد»: ص(173).

وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي -ﷺ- إلى موسى عليه السلام في قبره.

قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزةً جاز للأولياء كرامةً بشرط عدم التحدي.

قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء، كثيرة فلنكتف بهذا القدر.

فصل

16- وأما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق أبي عبد الرحمن المقري، عن حيوة بن شريح، عن أبي صخرة، عن زيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إليّ روحي حتى أرد عليه السلام».[1]

(1) حديث صحيح. أخرجه البيهقي في «سننه الكبرى» برقم:10050 في باب زيارة النبي ﷺ (245/5). و(البيهقي) في «شعب الإيمان» برقم:1581 (217/2). وفي «حياة الأنبياء صلوات الله

ولا شك أن ظاهر الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، وهو مخالف للأحاديث السابقة، وقد تأملته ففتح علي في الجواب عنه بأوجه:

الأول: وهو أضعفها أن يدعي أن الراوي وَهَمَ في لفظة من الحديث حصل بسببها الإشكال، وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة، لكنّ الأصل خلاف ذلك، فلا يعول على هذه الدعوى.

الثاني: وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية أن قوله: «إلا رد الله» جملة حالية، وقاعدة العربية أن جملة

عليهم» برقم:16. والمنذري في «الترغيب والترهيب» برقم:2573 (326/2). والطبراني في «الأوسط» برقم:3092 (262/3). وأخرج أبو داود في «سننه»، بلفظ علي دون إلي برقم:2041 في كتاب (5) المناسك، وباب (100) زيارة القبور (366/2). وأحمد في «مسنده» (227/2). وقال العراقي في «تخريج الأحياء» (279/1) سنده جيد، وصححه النووي في «رياض الصالحين» وقال: إسناده صحيح. وقال الحافظ في «الفتح»: رجاله ثقات.

الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها «قد» كقوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ٩٠﴾ [النساء:90] أي «قد حصرت»، وكذا تقدر هنا، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد، و«حتى» ليست للتعليل، بل مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: ما من أحد يسلم علي إلا قد ردّ الله علي روحي قبل ذلك، فأرد عليه.

إنما جاء الإشكال من ظن أن جملة «رد الله علي» بمعنى الحال أو الاستقبال، وظن أن «حتى» تعليلية، وليس كذلك.

وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله، وأيده من حيث المعنى أن الرد ولو أخذ بمعنى الحال والاستقبال لزم تكرره عند تكرر المسلّمين، وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران:

أحدهما: تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه أو نوع ما من مخالفة التكريم إن لم يكن تأليم.

والآخر: مخالفة سائر الناس الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ، والنبي ﷺ أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة.

ومحذور ثالث: وهو مخالفة القرآن، فإنه دل على أنه ليس إلا موتتان وحياتان، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة، وهو باطل.

ومحذور رابع: وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة، وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله، وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً، فلهذا أوجب حمل الحديث على ما ذكرناه.

الوجه الثالث: أن يقال: إن لفظ الرد قد لا يدل على المفارقة، بل كُني به عن مطلق الصيرورة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:89] أن لفظ العود أريد به مطلق الصيرورة، لا العود بعد الانتقال، لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط، وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة المناسبة

اللفظية بينه وبين قوله: «حتى أرد عليه السلام» فجاء لفظ الرد في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث.

الوجه الرابع: وهو قوي جداً، أنه ليس المراد برد الروح عودها بعد المفارقة للبدن، وإنما النبي ﷺ في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت، مستغرق في مشاهدة ربه كما كان في الدنيا في حالة الوحي، وفي أوقات أخر، فعبر عن إفاقته من تلك المشاهدة، وذلك الاستغراق برد الروح، ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء، وهي قوله: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» ليس المراد الاستيقاظ من نوم، فإن الإسراء لم يكن مناماً، وإنما المراد الإذاقة مما خامره من عجائب الملكوت.

وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظه الرد، وقد كنت رجحت الثاني ثم قوي عندي هذا.

الوجه الخامس: أن يقال: إن الرد يستلزم الاستمرار، لأن الزمان لا يخلو من مصل عليه في أقطار الأرض، فلا يخلو من كون الروح في بدنه.

السادس: قد يقال: إنه أُوحي إليه بهذا الأمر أولا قبل أن يوحى إليه بأنه لا يزال حيا في قبره، وأخبر به، ثم أوحي إليه بعد ذلك، فلا منافاة لتأخير الخبر الثاني عن الخبر الأول.

هذا ما فتح الله به من الأجوبة، ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد.

ثم بعد كتابتي لذلك راجعت كتاب «الفجر المنير فيما فضل به البشير النذير» للشيخ تاج الدين بن الفاكهاني المالكي، فوجدته قال فيه ما نصه: روينا في «الترمذي» قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام».[1]

يؤخذ من هذا الحديث أن النبي ﷺ حي على الدوام، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد مسلّم على –النبي ﷺ– في ليل أو نهار.

---

(1) قد سبق تخريجه.

فإن قلت: قوله ﷺ: «إلا رد الله إلي روحي» لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام، بل يلزم منه أن تتعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة؛ إذ الوجود لا يخلو من مسلِّم يسلِّم عليه كما تقدم، بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً. **فالجواب** –والله أعلم– أن يقال: المراد بالروح هنا النطق مجازاً.

فكأنه قال ﷺ: إلا رد الله إليّ نطقي، وهو حي على الدوام، لكن لا يلزم من حياته نطقه، فالله سبحانه يرد عليه النطق عند سلام كل مسلّم، وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح، كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر ﷺ بأحد المتلازمين عن الآخر.

ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴿١١﴾﴾ [غافر: 11].

وهذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين، وهذا الذي ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التي ذكرها فهو إن سلم جواب سابع.

وعندي فيه وقفة من حيث أن ظاهره أن النبي –ﷺ– مع كونه حياً في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات، ويرد عليه عند سلام المسلِّم عليه، وهذا بعيد جداً، بل ممنوع، فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه.

أما النقل فالأخبار الواردة عن حاله ﷺ وحال الأنبياء –عليهم السلام– في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاءوا ولا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين، كذلك الشهداء، وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاءوا غير ممنوعين من شيء، ولم يرد أن أحداً يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات عن غير وصية.

أخرج أبو الشيخ بن حيان في كتاب «الوصايا» عن قيس بن قبيصة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يوص لم

يؤذن له في الكلام مع الموتى». قيل: يا رسول الله، وهل تتكلم الموتى؟ قال: «نعم، ويتزاورون». [1]

17- وقال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، ويشهد له صلاة موسى في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب.

وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى. انتهى.

وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب، ولهذا عذِّب به تارك الوصية، والنبي- ﷺ- منـــزه عن ذلك، ولا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً

(1) أخرجه الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» برقم:5945 (622/3).

بوجه من الوجوه كما قال لفاطمة رضي الله عنها في مرض وفاته: «لا كرب على أبيك بعد اليوم».[1]

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم:4462 في كتاب المغازي، وباب مرض النبي ﷺ ووفاته بلفظ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». وأخرجه الإمام عبد الرزاق في «مصنفه» برقم:6673. ابن حبان في «صحيحه» برقم:6613 في باب وفاته ﷺ (582/14). وابن ماجه في «سننه» برقم:1629 في كتاب (6) الجنائز، وباب (65) ذكر وفاته ودفنه ﷺ (300/2). والكناني في «مصباح الزجاجة» (57/2). وأبو يعلى في «مسنده» برقم:2869 (156/5). وإسحاق بن راهويه في «مسنده» برقم:13 (14/1). والترمذي في «الشمائل» برقم:398 في باب (54) ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ (ص184). والطبراني في «الكبير» (1029/22). والرازي في «كتاب الجرح والتعديل» برقم:1706 (374/3). والبيهقي في «دلائل النبوة» (212/7). والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» برقم:3292 (261/6). وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» برقم:994 (175/4). والمزي في «تهذيب الكمال» برقم:3271 (516/14). وابن عبد البر في «الاستيعاب» برقم:598 (420/2). والعسقلاني في «الإصابة» برقم:2140 (224/2).

وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحصرون بالمنع من النطق، فكيف به ﷺ.

نعم، يمكن أن ينتزع من كلام الشيخ تاج الدين.

جواب آخر: ويقرر بطريق أخرى، وهو أن يراد بالروح: النطق، وبالرد الاستمرار من غير مفارقة، على حد ما قررته في الوجه الثالث، ويكون في الحديث على هذا مجازان: مجاز في لفظ «الرد»، ومجاز في لفظ «الروح».

فالأول: استعارة تبعية، والثاني: مجاز مرسل، وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط.

ويتولد من هذا الجواب جواب آخر وهو أن تكون الروح كناية عن السمع، ويكون المراد أن الله يرد عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع المسلم، وإن بَعُدَ قُطْرُه.

وأورد(العسقلاني) في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تحت الحديث:4193 (149/8).

ويرد عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلغ، وليس المراد سمعه المعتاد، وقد كان له –ﷺ– في الدنيا حالة يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة بحيث كان يسمع أطيط السماء،[1] كما بينت ذلك في كتاب «المعجزات»، وهذا قد

---

(1) إشارة إلى الحديث المروي عن أبي ذر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدر أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله» الحديث. أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» برقم:3883 في تفسير سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ﴾ (554/2). والترمذي في «سننه» برقم:2312 في كتاب (37) الزهد،وباب (9) قول النبي ﷺ: لو تعلمون إلخ (289/3). وابن ماجه في «سننه» برقم:4190 في كتاب (37) الزهد، وباب (19) الحزن والبكاء (505/4). والبيهقي في «سننه الكبرى» برقم:13115 (52/7). و(البيهقي) في «شعب الإيمان» برقم:783 (484/1). وأحمد في «مسنده» برقم:21555 (173/5). والعسقلاني في «الإصابة» برقم:5650 (542/4). وقال العلامة السندي: «أطت»: في «النهاية»: الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها أي: أن أكثر ما فيها من

ينفك في بعض الأوقات، ويعود لا مانع منه وحالته -ﷺ- في البرزخ كحالته في الدنيا سواء.

وقد يخرج من هذا الجواب آخر وهو أن المراد سمعه المعتاد، ويكون المراد برده إفاقته من الاستغراق الملكوتي، وما هو فيه من المشاهد، فيرده الله تلك الساعة إلى خطاب من سلم عليه في الدنيا، فإذا فرغ من الرد عليه عاد إلي ما كان فيه.

ويخرج من هذا جواب آخر وهو أن المراد برد الروح التفرغ من الشغل، وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته، والاستغفار لهم من السيآت، والدعاء بكشف البلاء عنهم، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها، وحضور جنازة من مات من صالح أمته، فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فلما كان السلام عليه من

الملائكة حتى أطت. وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط. وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. (تحت الحديث ابن ماجه المذكور)

أفضل الأعمال وأجل القربات اختص المسلّم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يرد عليه فيها تشريفاً له ومجازاة.

فهذا عشرة أجوبة، كلها من استنباطي، وقد قال الجاحظ: إذا نكح الفكر الحفظ ولد العجائب.

ثم ظهر لي جواب حادي عشر، وهو أنه ليس المراد بالروح: «روح الحياة»، بل الارتياح كما في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة:89] فإنه قرئ «فَرُوح» –بضم الراء– والمراد أنه –ﷺ– يحصل له بسلام المسلّم عليه ارتياح وفرح وهشاشة لحبه ذلك، فيحمله ذلك على أن يرد عليه.

ثم ظهر لي جواب ثاني عشر، وهو أن المراد بالروح: الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة.

قال ابن الأثير في «النهاية»: تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن، ووردت فيه على معان،

والغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وقد أطلق على القرآن، والوحي، والرحمة، وعلى جبريل. انتهى.

وأخرج ابن المنذر في «تفسيره» عن الحسن البصري أنه قرأ قوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ ۝٨٩﴾ [الواقعة:89] بالضم وقال: الروح: الرحمة، وقد تقدم في حديث أنس أن الصلاة تدخل عليه -ﷺ- في قبره كما يدخل عليكم بالهدايا، والمراد ثواب الصلاة، وذلك رحمة الله وإنعاماته.

ثم ظهر لي جواب ثالث عشر، وهو أن المراد بالروح الملك الذي وكلّ بقبره -ﷺ- يبلغه السلام، والروح يطلق على غير جبريل أيضاً من الملائكة، قال الراغب: أشراف الملائكة تسمى أرواحاً. انتهى.

ومعنى «رد الله إليّ روحي»: أي: بعث إلي الملك الموكل بتبليغي السلام، هذا غاية ما ظهر، والله أعلم.

تنبيه

وقع في كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما: أحدهما: أنه عزا الحديث إلى الترمذي، وهو

غلط فلم يخرجه من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط، كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي في «الأطراف».

الثاني: أنه أورد الحديث بلفظ: «رد الله علي» وهو كذلك في «سنن أبي داود»، ولفظ رواية البيهقي: «رد الله إلي روحي». وهي ألطف وأنسب، فإن بين التعديتين فرقاً لطيفاً، فإن «رد» يتعدى بـــ «علي» في الإهانة، وبـــ «إلي» في الإكرام.

قال في «الصحاح»:

رد عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذلك إذا خطأه، ويقول: رده إلى منـــزله، ورد إليه جواباً، أي رجع. وقال الراغب من الأول: قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:149] ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص:33] ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ [الأنعام:71]. ومن الثاني ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ [القصص:13]. ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا

مِّنْهَا مُنْقَلِباً﴿٣٦﴾ [الكهف:36]. ﴿ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴿٩٤﴾ [التوبة:94]. ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴿٦٢﴾ [الأنعام:62].

فصل

وقال الراغب: من معاني الرد: التفويض يقال رددت الحكم في كذا إلى فلان أي فوضته إليه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُوْلِ﴿٥٩﴾ [النساء:59] ﴿وَلَوْ رُدُّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِلىٰ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴿٨٣﴾ [النساء:83]. انتهى.

ويخرج من هذا الجواب رابع عشر عن الحديث: وهو أن المراد فوض الله إليّ رد السلام عليه، على أن المراد بالروح الرحمة، والصلاة من الله الرحمة.

فكأن المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من الله.

18- تحقيقاً لقوله ﷺ: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً».[1] والصلاة من الله: الرحمة.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم:643 في باب الصلاة على النبي ﷺ. ومسلم في «صحيحه» برقم:70-(408) في كتاب (4) الصلاة، وباب (17) الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (ص160). وابن خزيمة في «صحيحه» برقم:418 في باب فضل الصلاة على النبي ﷺ بعد أفطر سماع الأذان (218/1). وابن حبان في «صحيحه» برقم:904 (185/3). والترمذي في «سننه» برقم:485 في أبواب (3) الوتر، وباب (352) ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (360/1). وأبو داود في «سننه» برقم:1530 في كتاب (2) الصلاة، وباب (361) في الاستغفار (124/2). والنسائي في «سننه الكبرى» برقم:1219 (384/1). و(النسائي) في «سننه المجتبى» برقم:677 في كتاب (7) الأذان، وباب (37) الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان (354/1). وأحمد في «مسنده» برقم:7769 (375/2). والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» برقم:905 (31/2). وأبو عوانة في «مسنده» برقم:2040 (546/1). والطبراني في «الصغير» برقم:579 (347/1) وفي «الأوسط» برقم:2767 (154/3) وفي «الكبير» برقم:4717

ففوّض الله أمر هذه الرحمة إلى النبي -ﷺ- ليدعو بها للمسلم، فتحصل إجابته قطعاً، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي ببركة دعاء النبي -ﷺ- ينـــزل ذلك منـــزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة عليه، وتكون الإضافة في «روحي» لمجرد الملابسة.

ونظير قوله في حديث الشفاعة[1]: فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ينتهي إلى محمد.

(99/5). وأبو يعلى في «مسنده» برقم:6495 (370/11). والهيثمي في «مجمع الزوائد» (163/10). والبزار في «مسنده» برقم:3811 (268/9). والمقدسي في «الأحاديث المختارة» برقم:1568 (397/4). والسيوطي في «الديباج» برقم:408 (139/2). وأبو بكر الهيثمي في «موارد الظمآن» برقم:2390 (594/1). والجراحي في «كشف الخفاء» برقم:2517 (337/2).

(1) حديث الشفاعة مروي عن أبي هريرة ﵁. أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم:3340 في كتاب (60) أحاديث الأنبياء، وباب (4) قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ الآية (364/2). ومسلم في «صحيحه» برقم:327-(194) في كتاب (1) الإيمان، وباب

19- وفي حديث الإسراء: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى».[1]

والحاصل: أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فوض الله لي أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولى الدعاء بها بنفسي، بأن أطلق بلفظ السلام على وجه الرد عليه، في مقابلة سلامه والدعاء له.

ثم ظهر لي جواب خامس عشر: وهو أن المراد بالروح: الرحمة التي في قلب النبي -ﷺ- على أمته، والرأفة التي جبل عليها.

وقد يغضب في بعض الأحيان على من عظمت ذنوبه أو انتهك محارم الله، والصلاة على النبي -ﷺ-

---

(84) أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ص96-97). والترمذي في «سننه» برقم:2434 في كتاب (38) صفة القيامة والرقائق والورع، وباب (10) ما جاء في الشفاعة (3/249-251).

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم:3556 (1/375).